غزل حفصة الركونيّة (٥٨١هـ)

م.م. سامر باسم حميد
مديرية تربية كركوك

المستخلص

فهذا البحث يتعلق في الأدب الأندلسي في القرن السادس في عهد الموحدين، تحدّثتُ فيه عن غزل الشواعر وأخص منهنَّ الشاعرة الأندلسية (حفصة الركونيّة) وعشقها للوزير الشاعر أبي جعفر القيسي، فلم أجعلهُ بالطويل الممل ولا بالقصير المخل ومن الله التوفيق.

الكلمات المفتاحية (غرام حفصة الركونيّة، غزل حفصة الركونيّة، شعر حفصة في الوزير الشاعر، حفصة الركونيّة وعلاقتها بأبي جعفر).

المقدمة

الحمدلله رب العالمين وبعد: فهذا البحث يتعلق بغزل الشواعر في عصر الموحدين في الدولة الأندلسية وأخصّ منهنَّ الشاعرة (حفصة الركونيّة)؛ لأن عصر الموحدين تميز بكثرة الشواعر اللواتي عبرنَّ عن خلجاتهنّ وخفقات افئدتهنَّ متشوقات أو متطلعات إلى حبيب لهنَّ، ووصف جمالهنّ ومفاتهنَّ والتعبير أحياناً عن تجربة غرام حقيقة عاشتها واكتوت بنارها. وقد تختلط قصائدهنَّ أحياناً بقصائد الغزل بالغلمان ويمكن التفريق بينها بسهولة لأن الغزل بالغلمان يقتصر على العذار والخدود ومنبت الشوارب بينما غزل النساء معظمهُ نسيب في بيان عاطفة الحب وخفقان القلب والميل إلى معشوقهنَّ والبوح بغرامهنَّ، واتبعت (المنهج التكاملي) في تحليلي للنصوص ، فارتكز هذا البحث على أبرز المصادر الأندلسية المعتمدة منها (نفح الطيب، المُغرب في حلى المغرب، والمطرب، والإحاطة في أخبار غرناطة، وغيرها من المصادر الأندلسية)، قسمت بحثي إلى مبحثين، تحدّثْتُ في التمهيد عن الغزل لغةً واصطلاحاً، وفي المبحث الأول تحدثتُ عن مكانة المرأة في الأندلس ليكون مدخلاً إلى المبحث الثاني تحت عنوان غزل حفصة الركونية . اسأل الله أن يجعل هذا البحث خالصا لوجهه الكريم ، وذو فائدة لجميع طلبة العلم المختصين بدراسة الاندلس .

التمهيد

الغزل لغةً واصطلاحاً

لغةً (حديث الفتيان والفتيات. ابن سيده: الغزل هو اللهو مع النساء...وقد غزل غزلاً وقد تغزل بها وغازلها وغازلتهُ مغازلةً.

ورجل غزل: متغزل بالنساء على النسب أي ذو غزلٍ. وفي المثل: هو أغزل من أمرئ القيس...)[١].

اصطلاحاً: من أقدم الفنون الشعرية عند العرب وأكثرها شيوعاً، لانَّهُ متصل بطبيعة الإنسان وتجاربه الذاتية خاصة، وإن الحب يحرك كل القلوب. والشعراء دون غيرهم يصوِّرون هذا الحب بعاطفة صادقة فيتدفقُ على ألسنتهم من وجدان مرهف ليعبرِّ عما يجيش في خاطر الشاعر وعمّا يتخلج في قلبهِ... .

أما في أدبنا العربي، فقد أحتل الغزل حيزاً كبيراً من الشعر وفي مختلف العصور، ونظمه أكثر الشعراء وتغنوا بالمرأة ووصفوا عواطفهم وخفقات قلوبهم عذاباتهم بأروع اللّوحات الوصفية والقصصية الحوارية[٢].

المبحث الأول

مكانة المرأة في الأندلس

الاندلس شبه جزيرة تقع في الجنوب الغربي من أُوربا وتشمل حالياً دولتي اسبانيا والبرتغال، كانت تطلق على المناطق الخاضعة لحكم المسلمين من شبه جزيرة ايبريا[٣] حيث استقر العرب هناك ما يقارب ثمانية قرون، ابتدأت بالفتح العظيم (٩٢هـ) على يد القائد المسلم طارق بن زياد وحتى سقوط غرناطة (٨٩٧هـ-١٤٩٤م) وذلك بعد سلسلة من الأحداث، تساقطت خلالها المدن واحدة تلو الأخرى[٤]، لقد تميز المجتمع الأندلسي في أغلب نواحي الحياة، غير أنه من الناحية الأدبية كانت له سمة جميلة، وهي كثرة الشعراء فيه، فالحس الشعري كان السمة المشتركة بين أفرادهِ، وقد حظيت المرأة فيه بقدر من النشاط العلمي والأدبي، بل إنّها تفوقت في بعض الأحيان على الرجال في مجال الشعر والأدب، إضافة إلى أنها برزت في مجالات أخرى، سياسية واجتماعية وثقافية، إذ إنّ المرأة في الأندلس كانت بصورة عامة أفضل من مثيلاتها في المشرق[٥]، ومما يؤكد أهمية دور المرأة الأندلسية حيث يقول ابن دحية: في الشاعرة حفصة الركونيّة (٥٨٦هـ-١١٩٠م) (حفصة من أشرافِ غرناطة، رخيمةٌ الشعر، رقيقةُ النظم والنثر)[٦]، فهذا ابن بسام يتحدَّثُ عن ولاّدةَ بنت المستكفي بقولهِ: (كانت في نساء أهل زمانها واحدة أقرانها...وكان مجلسُها بقرطبة منتدىً للأحرار المِصرْ، وفناؤها ملعباً لجياد النظم والنثر، يعشو أهل الأدب إلى ضوء غرَّتها، ويتهالك أفراد الشعراءِ والكُتابِ على حلاوة عشرتها، إلى سهولة حجابها وكثرةِ منتابها، تخلطُ ذلك بعُلُوِّ نصاب، وكرم

أنساب، وطهارة أثواب)[٧] وهذا المقري الذي أفرد فصولاً في ذكر النساء ومنها قوله (رأيت أن أذكر جملةً من نساء أهل الأندلس اللاتي لهن اليد الطولى في البلاغة، كي يُعلمَ أنّ البراعة في أهل الأندلس كالغزيرة لهم، حتى في نسائهم وصبيانهم[٨]. وفي هذا دليلٌ على أن للمرأة مكانة مرموقة ومعروفة بين الأدباء والكُتّاب والباحثين. وهناك الكثير من الشواهد على مكانة المرأة الأندلسية منها قول: ابن حزم الاندلسي (٤٥٦هـ) (فمن النساء كالطبيبة والحجامة والسراقةِ والدلالةِ والماشطةِ والنائحةِ والمغنيةِ والكاهنةِ والمعلمةِ والمستخدمةِ والصناع في المغزل والنسيج وما أشبه ذلك[٩] لم يكن حضور المرأة في الشعر الأندلسي عند الشاعر (العام) فقط، بل عند الشاعر(الحاكم)، ولعل هذا يشير إلى بروز هذهِ الظاهرة في الشعر الأندلسي، ومن النماذج على ذلك هشام بن الحكم (٤٠٠هـ) الذي يقول في خمس جوارٍ استخلصهن لنفسهِ وملّكهنَّ أمره، فذهب في أحد الأيام للدخول عليهنَّ فأعرضنَ عنه وكان لا يصبر عنهنّ فقال:[١٠]

قُضُبٌ من البان ماست فوق كُثبانِ وَلَّيْنَ عنّي وقد أزمعنَ هجراني
مَلـــكنني مُلك من ذلّـــت عزائمـهُ للحـــبِّ ذُلَّ أسِيرٍ مُوثقٍ عـانِ
من لي بمغتصباتِ الروح من بدني يغَصبنني في الهوى عزّي وسلطاني

فقد عُرِف العصر الأندلسي بأنّه عصر عظمة المرأة، حيث حملت ضروب العلم والحضارة والفن، ونقلت النساء الشعر من بغداد إلى الأندلس، وظهر دور المرأة الأندلسية في الغناء والموسيقى ولم تقتصر الأندلس على النساء الحرائر بل أيضاً وجدت الجاريات من البلاد الإسلامية المختلفة، مثل الشام وبلاد الفرس والعراق ومصر[١١]، كما حظيت المرأة في الأندلس بمكانة علمية مرموقة، فكانت أستاذةً فقيهةً وشاعرةً وخطاطةً وموسيقيةً ونحويةً وعروضيةً وراويةً للحديث، وحظيت البيئة الأندلسية بعدد كبير من الشاعرات وقد أعطى ذلك صورة عن نصيب المرأة الأندلسية من المعرفة والعلم[١٢].

المبحث الثاني

غزل حفصة الركونيّة

حفصة بنت الحاج الركونيّة الأندلسية، شاعرة انفردت في عصرها بالتفوق في الأدب والظرف والحسن وسرعة الخاطر بالشعر[١٣] كانت حفصة (٥٨١هـ) تمثل شاعرات غرناطة في القرن السادس للهجرة وكانت جميلة ذات حسب ومال[١٤] وقد وقعت في غرام الوزير الشاعر أبي جعفر بن سعيد القيسي (٥٩٩هـ) أفرزت تلك العلاقة نظماً يمثل نموذجاً لشعر النساء العاطفي، وقصتها مشابهة لقصة ابن زيدون مع ولادة

بنت المستكفي في عصر ملوك الطوائف، وتختلف عنها بأنَّ حفصة بقيت مخلصة لحبيبها حتى بعد مقتله بسببها من قبل الحاكم الموحدي أبو عثمان بن عبدالمؤمن كان ينافس الشاعر في تملك قلبها. وكانت حفصة رخيمة الشعر

أغارُ عليكَ مِن عيني رقيبي ومنك ومِن زمانِكَ والمكانِ
ولو أنّي وضعتُك في عيوني إلى يومِ القيامةِ ما كفاني

ورقيقة النظم والنثر[١٥] وقد سجلت غرامها وعلاقتها بصدق وواقعية وما بينهما من خلوات وزيارات، وأصبحت عاشقة لا معشوقة وعن زيارتها ووصف جمالها لأغراء حبيبها تقول:[١٦]

لَعمرُك ما سُرَّ الرياضُ بوصلنا ولكنّهُ أبدى لنا الغُلَّ والحسـدِ
ولا صفّق لنا النهر إرتياحاً لقربنا ولا غرَّد القمريّ إلا لمّا وجـدِ
فلا تحسن الظّنّ الذي أنت أهله فما هو في كلّ المواطنِ بالرشدِ

هذا وصفٌ عكسي وغزل معكوس في وصف المرأة جمال جسدها بعكس ما اعتدنا عليه من وصف الرجل لمفاتن المرأة وقد يدخل في باب الإثارة أو عرض الجمال الذي من غزيرة النساء، وكانت تتميز بلطف وخفة روح وصفاء بديهة ولشهرتها كان الناس يستوقِفونها

زائرٌ قد أتى بجيـدٍ الغزال مطلع تحتَ جنحهِ للهلالِ
بلحاظ من سحرِ بابلَ صيغت ورضابٍ يفوقُ بنت الدوالي
يفضح الورد ما حوى منه خدّ وكذا الثغر فاضـحٌ للآلي
ما ترى في دخـولهِ بعد إذنٍ أو تراه لعارض في انفصال
أتراكـم بإذنه مسعفيـهِ أم لكم شاغل من الاشـغال

ويطلبون منها تسطير شيء من شعرها على أوراق يحملونها على سبيل التذكار كما في أيامنا هذهِ مع الفنانين والفنانات[١٧] وعن غيرتها، وهذا اللون لون جديد في غزل المرأة تمثل مرحلة التملك والأنانية تقول:[١٨]

وكانت تعتقد أن الطبيعة من الرياض والورود تحسدها وتغير عليها[١٩]

ما خلت هذا الافق أبدى نجومه لأمرٍ سوى كيما تكون لنا رصدِ

إنّ غزلها فاق غزل الرجال بالنساء إضافة إلى اشكال الإثارة والإغراء، وإنها لم تكن تتحرج من بوح تفاصيل لقاءاتها[٢٠] وكانت مخلصة لأبي جعفر القيسي، وحتى الحاكم بعد التخلص من أبي جعفر لم يستطع الدخول إلى قلبها، وقد سجلت أجمل القصائد في الرثاء، وقد لحقت بعشيقها بعد مدة قصيرة[٢١]

وبهذا تتفوق شاعرات الأندلس على زميلاتهنّ في الشرق في الإفصاح عن مشاعرهن، عفة أو مجوناً مِن غير تقيّدٍ ولا خوف، على الرغم من الحالة الدينية التي كانت الدولة الموحدية تتصف بها[٢٢].

الخاتمة

وبجمد الباري ونعمة منه وفضل الذي وفقني في إتمام هذا البحث وكان البحث يتحدّث عن الشاعرة الأندلسية (حفصة الركونيّة) وعشقها للوزير الشاعر أبي جعفر القيسي، فهي شاعرة انفردت في عصرها بالتفوق في الادب والظرف والحسن وسرعة الخاطر بالشعر ، وحفصة في غرناطة على زمانها مثل ولادة في قرطبة على زمانها ، لذلك اختيرت مؤدبة لنساء بني عبد المؤمن الذين أملكوا غرناطة على عهد مروان بن سعيد والد ابي جعفر . أرجو أن يكون البحث قد أرتقى إلى درجات العقل ومعراج الفكر.

إنَّ أهم ما توصلَّتُ إليه من نتائج أبرزها

١. إ

نَّ

ا **هدّدوني مِن أجل لبس الحدادِ لحبيـــبٍ أردوه لي بالحدادِ**

لـ **رحـــــــمَ الله مَن يجود بدمعٍ أو ينوح على قتيلِ الأعادي**

شـ **وسقتـــــــه بمثل جودٍ يديـــــه حيث أضحى من البلادِ فؤادي**

اعرة حفصة بقيت مخلصة لحبيبها حتى بعد مقتلهِ.

٢. شعرها رخيمة الشعر، ورقيقة النظم والنثر.

٣. غرامها وعلاقتها كانت بصدق وواقعية.

٤. كانت عاشقة لا معشوقة.

٥. كانت تتميز بلطف وخفة روح وصفاء بديهة.

٦. اسلوبها كانت جريئة جدا في الهجوم على معاني العشق والاثارة والغيرة .

٧. وسمات شعرها كانت نافذة للعمق ومستبدة في الشوق الى صاحبها ولم تسبقها احدى الشاعرات .

٨. كتبت مقطعات شعرية وليست قصائد .

ثبت المصادر والمراجع

١. الإحاطة في أخبار غرناطة، محمد بن عبدالله بن سعيد السلماني الشهير بلسان الدين ابن الخطيب (تـ٧٧٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١،(١٤٢٤هـ).

٢. الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، مصطفى الشكعة، د.ط، دار العلم للملايين، (١٩٧٥م).

٣. تاريخ آداب العربية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، (٢٠٠٠م).

٤. تاريخ الأدب الأندلسي: محمد زكريا عناتي، دار المعرفة الجامعية، مصر، (١٩٩٩م).

٥. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ابن بسام الشنتريني، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، (١٩٩٧م).

٦. رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق: إحسان عباس،ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، (١٩٨٧م).

٧. الشعر النسوي الأندلسي في عصر ملوك الطوائف، سامية جوابي، ط١، (١٤٢٩هـ)، الجزائر، دار النشر: جامعة يحيى فارس، تحقيق: أحلام بلكاتب.

٨. الغزل في الشعر العربي: سراج الدين محمد، دار الراتب الجامعية، بيروت_لبنان، د.ط، د.ت.

٩. لسان العرب: ابن منظور، تصحيح: أمين محمد عبدالوهاب ومحمد صادق العبيدي، دار أحياء التراث العربي، بيروت_لبنان، د.ط، (١٤١٩هـ_١٩٩٩م).

١٠. المرأة في المجتمع الأندلسي من الفتح الإسلامي للأندلس حتى سقوط قرطبة، راوية عبدالحميد شافع،ط١، (٢٠٠٦م)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.

١١. المطرب من أشعار أهل المغرب، أبو الخطاب عمر بن حسن الأندلسي الشهير بأبن دحية الكلبي، تحقيق: إبراهيم الأبياري وحامد عبدالمجيد وأحمد أحمد بدوي، راجعه طه حسين، دار العلم للجميع للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت_لبنان، (١٣٧٤هـ_١٩٦٤م).

١٢. معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى ٢٠٠٢م، كامل سلمان الجبوري، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت (٢٠٠٣م).

١٣. المُغرب في حلى المغرب، ابن سعيد المغربي، تحقيق: شوقي ضيف، ط٢، دار المعارف، مصر، (١٩٦٤م).

١٤. نفح الطِّيب من غصن الأندلس الرطيب، المقرّي التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (١٩٦٨م).

١٥. الوافي بالوفيات، الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار أحياء التراث، بيروت، (٢٠٠٠م).

١٦. الوافي في تاريخ الأدب العربي في الأندلس، عمر إبراهيم توفيق، ط١، (١٤٣٣هـ_٢٠١٢م) العراق_كركوك.

(١) لسان العرب: ابن منظور (٤٩٢/١١) مادة غزل.

(٢) ينظر: الغزل في الشعر العربي: سراج الدين محمد (٧).

(٣) ينظر: الوافي في تاريخ الأدب العربي في الأندلس: عمر إبراهيم توفيق (٥).

(٤) ينظر: تاريخ آداب العربية: مصطفى صادق الرافعي (٢٠٦/٣).

(٥) ينظر: تاريخ الأدب الأندلسي: محمد زكريا عناتي (٤٩).

(٦) نفح الطّيب من غصن الأندلس الرطيب: المقري التلمساني (١٧٦/٢).

(٧) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: ابن بسام الشنتريني (٤٢٩/١).

(٨) نفح الطّيب (١٦٦/٤-١٦٧).

(٩) رسائل ابن حزم الأتدلسي (١٤٢/١).

(١٠) ينظر: الوافي بالوفيات: الصفدي (٥٩/٦)

(١١) ينظر: المرأة في المجتمع الأندلسي من الفتح الإسلامي للأندلس حتى سقوط قرطبة: راوية عبدالحميد شافع (٥١).

(١٢) ينظر: الشعر النسوي الأندلسي في عصر ملوك الطوائف: سامية جوابي (٣٠).

(١٣) ينظر: معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى ٢٠٠٢: كامل سلمان الجبوري (١٣٧/٢).

(١٤) نفح الطّيب (٣٠٣/٥).

(١٥) ينظر: المطرب ابن دحية الكلبي (١٠).

(١٦) المُغرب في حلى المغرب: ابن سعيد المغربي (١٣٩/٢)، الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب (٥٠١/١).

(١٧) ينظر: الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: مصطفى الشكعة (٢٢١).

(١٨) نفح الطّيب (٣٠٨/٥).

(١٩) نفح الطّيب (٣٠٨/٥).

(٢٠) ينظر: الوافي في تاريخ الأدب العربي في الأندلس (١٩٨).

(٢١) الإحاطة في أخبار غرناطة (٢٢٧/١).

(٢٢) ينظر: الوافي (١٩٩).

Spin Hafsa AL _ Rukuni(٥٨١)AH

Abstract

This research relates to Andalusian literature in the sixth century during the Almohad era, in which I talked about the spinning of poets, especially the Andalusian poet (Hafsa Al-Rakuniyya) and her love

for the poet-minister Abi Jaafar Al-Qaisi.

Keywords: (Hafsa al-Rukuni's love, Hafsa al-Rukuni's ghazal, Hafsa's poetry in the poetic minister, Hafsa al-Rukuni and her relationship with Abu Jaafar).